

إيقاعات (تناغم) الحياة



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: تكوين ١؛ تكوين ٨: ٢٢؛ مزمور ٩٠: ١٠؛ أيوب ١: ١٣-١٩؛ أعمال ٩: ١-٢٢؛ فيلبي ١: ٦؛ رومية ٨: ١.

آية الحفظ: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتُ» (جامعة ٣: ١).

بعض من أجمل الأشعار التي حُطت قط، هي من الملك سليمان: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتُ: لِلْوِلَادَةِ وَقْتُ وَلِلْمَوْتِ وَقْتُ. لِلغَرَسِ وَقْتُ وَلِقْلَعِ المَغْرُوسِ وَقْتُ. لِلقَتْلِ وَقْتُ وَلِلشِّفَاءِ وَقْتُ. لِلهَدْمِ وَقْتُ وَلِلبِنَاءِ وَقْتُ. لِلبُكَاءِ وَقْتُ وَلِلضَّحِكِ وَقْتُ. لِلنُّوحِ وَقْتُ وَلِلرَّقِصِ وَقْتُ. لِتَفْرِيقِ الحِجَارَةِ وَقْتُ وَلِجَمْعِ الحِجَارَةِ وَقْتُ. لِلْمُعَانَقَةِ وَقْتُ وَلِلانْفِصَالِ عَنِ الْمُعَانَقَةِ وَقْتُ. لِلكَسْبِ وَقْتُ وَلِلخَسَارَةِ وَقْتُ. لِلصِّيَانَةِ وَقْتُ وَلِلطَّرْحِ وَقْتُ. لِلتَّمْزِيقِ وَقْتُ وَلِلتَّخْيِيطِ وَقْتُ. لِلسُّكُوتِ وَقْتُ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتُ. لِلحُبِّ وَقْتُ وَلِلبُغْضَةِ وَقْتُ. لِلحَرْبِ وَقْتُ وَلِلصُّلْحِ وَقْتُ» (جامعة ٣: ١-٨).

تصف تلك الكلمات الكثير من الوجود البشري - المواسم، وإيقاعات حياتنا. نعم، تخوض حياتنا في مراحل، في تغيرات، ويحدث ذلك منذ اللحظة التي نولد فيها. أحياناً تكون التغيرات جيدة، وأحياناً العكس؛ أحياناً يكون لنا سيطرة عليها، وأحياناً العكس. دعونا ننظر هذا الأسبوع إلى مواسم حياتنا وإيقاعاتها، خاصة إذ تؤثر علينا وعلى أَسْرُنَا أيضاً.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٦ نيسان (أبريل).

في البدء

يبدأ الكتاب المقدس في البدء، وهذا بلا شك السبب وراء بدايته بكلمات «في البدء...» (في الواقع، يبدأ بكلمة واحدة في العبرية) (تكوين ١: ١). والتركيز الدقيق لهذا الإصحاح بالتأكيد هو تحويل الأرض من حالة كونها «خَرِبَةً وَخَالِيَةً» (تكوين ١: ٢) إلى عالم أعلن عنه الله نفسه في اليوم السادس أنه «حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين 1: 31). بإيجاز، البداية هنا هي بداية عالمتنا.

اقرأ تكوين ١. مع أن أمورًا كثيرة جدًّا تجري، اسأل نفسك هذا السؤال: هل هناك أي إشارة للعشوائية أو الصدفة؟ أم عمِل الكُل بنظام تام وعمِل كل شيء في وقته ومكانه المحددين؟ ماذا تخبر إجابتك عن شخصية الله؟

كتبت إلن هويت أن «النظام هو قانون السماء الأول» (علامات الأزمنة، ٨ حزيران يونيو) ١٩٠٨، ومن الواضح أنه قانون الأرض الأول أيضًا. في حين أن الخطية أدخلت الفوضى، إلى درجة ما، إلى العالم الطبيعي، لا يزال النظام والإيقاع والانتظام موجودًا.

اقرأ تكوين ٨: ٢٢. كيف يتجلى النظام هنا أيضًا؟

حتى بعد السقوط تأتي المواسم وتذهب بنظام. وعليه، بجانب الأنوار في السماء، أي الشمس والقمر، التي هي «لِتَفْصَلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ . . . لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ» (تكوين ١: ١٤)، توجد أيضًا المواسم، وجميعها جزء من الإيقاع الطبيعي للعالم الذي خلقه الله. وفي الواقع، في حين أننا لا نرى إلا لمحات الآن، إلا أن آية مثل إشعياء ٦٦: ٢٣ تشير إلى أنه في السموات الجديدة والأرض الجديدة سوف نشعر بالإيقاع آنذاك أيضًا.

فكر في كيفية تأثير السبت على حياتك تأثيرًا منتظمًا وقويًا، وخاصة على حياة أسرتك، كيفما كانت. ما هي المميزات الفريدة التي لا تميز السبت وحده، بل أيضًا حقيقة كونه يأتي بمثل هذا الانتظام؟

إيقاعات الحياة

يتحدث العلماء عن شيءٍ يسمى بالإيقاعات اليومية، وهي فكرة وجود إيقاعات بيولوجية (تسمى أحياناً «ساعات الجسد») التي تنظم العمل في أجسادنا. وبكلمات أخرى، يوجد درجة معينة من الانتظام حتى داخل أجسادنا نفسها. وعليه، وإلى حد ما، توجد إيقاعات حولنا وحتى في داخلنا.

ما هي مواسم الحياة المتوقعة المذكورة في النصوص الكتابية التالية؟ وكيف ترتبط مباشرة بالحياة الأسرية؟

جامعة ٣: ٢

تكوين ٢١: ٨؛ قضاة ١٣: ٢٤

مزامير ٧١: ٥؛ أمثال ٥: ١٨

تكوين ١٥: ١٥؛ قضاة ٨: ٣٢

مزامير ٩٠: ١٠

بين بداية كتاب الحياة ونهايته، الميلاد والموت، يعبّر جميعنا في مواسم متنوعة ومختلفة لكل فرد. بعض الأطفال لا يعيشون طويلاً بعد مولدهم؛ وآخرون يكبرون ويصيرون بالغين ويعيشون حتى سن بالغة متقدمة. تكبر وتنمو الأطفال حسب معدلاتهم الخاصة. يمشي البعض أو يتكلم قبل آخرين. سيتمكن البعض من الإلتحاق بالمدرسة ويكبرون ليصيروا محترفين، بينما سيكسر آخرون وقتهم لأشكال مختلفة من العمل. سيكون للبعض أسراً، بينما قد لا يتزوج آخرون أو ينجبوا أطفالاً قط. هناك المليارات من الناس على الأرض، وعلى الرغم من أن أموراً كثيرة تجمعنا جميعاً (انظر أعمال ١٧: ٢٦)، إلا أن كل واحد فينا هو فرد، وعليه، سوف توجد اختلافات في حياتنا جميعاً. أيضاً، هذه الاختلافات، من ناحية، هي مهمة لأنها تجعل كلنا فريداً، مما يعني أن كل واحد منا لديه شيئاً ليشاركه لا يمتلكه الآخرون. وباختصار، تسمح لنا اختلافاتنا أن نكون بركة للآخرين. على سبيل المثال، يمكن لكل من الصغير والكبير الانتفاع مما يقدمه أحدهما للآخر: «فَحَرُّ الشُّبَّانِ قُوَّتُهُمْ، وَبَهَاءُ الشُّيُوخِ الشَّيْبُ» (أمثال ٢٠: ٢٩). بغض النظر عن المرحلة التي نحن فيها، وبغض النظر عن اختلافاتنا، لدى جميعنا شيء، لا نقدمه للرب فقط، بل لواحداً الآخر أيضاً.

بغض النظر عن ظروف حياتك الآن، ماذا يمكنك أن تقدم لتكون بركة لشخص ما؟ لما لا تبذل جهداً واعياً لتكون تلك البركة، خاصة لأحد أفراد أسرتك؟

غير المُتَوَقَّع

اقرأ أيوب ١: ١٣؛ ١٩؛ ٢: ٧-٩. ماذا حدث لأيوب؟ كيف تعكس تجربته ما يحدث لكل واحد، بطريقة أو بأخرى، أو في زمنٍ أو في آخر؟

صرَّ الفيلسوف اليوناني هيراقليطوس أنه «لا دائم إلا التغيير». فعندما يبدو كل شيء على ما يرام، يقع ما هو غير مُتَوَقَّع. قد يكون خسارةً وظيفيةً أو أحد الأطراف، أو مرضًا يجعلنا طريحي الفراش، أو موتًا مبكرًا، أو حريقًا في المنزل، أو حادثة سيارة، أو سقوطًا أثناء المشي مع حيوان الأسرة الأليف.

بالطبع ليس بالضرورة أن تكون جميع التغييرات سلبية. فقد تكون ترقية بالعمل تؤدي إلى أوضاع اقتصادية أفضل. أو ربما تقابل شخصًا ما سوف يصبح شريك حياتك - تغييرٌ قد يرحب به الكثيرون.

في كلتا الحالتين، قد نكون نَتَّبَعُ إيقاع ما، حتى في شكل روتين، عندما يختل تمامًا فجأةً وبدون توقع.

بالتأكيد لم يكن أيوب متوقع موسم جديد في حياته. يصفه الكتاب المقدس بأنه رجل كان «كاملًا ومُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» (أيوب ١: ١). وكما نعرف أيضًا أنه كان متزوج وكان له سبعة أبناء وثلاث بنات، وكان ثريًا جدًا (أيوب ١: ٢، ٣). وفي الوقت الذي نصل فيه إلى منتصف السفر، نجده قد عانى من ست خسائر جسيمة على الأقل: أملاكه، وعمَّاله، وأبناؤه، وصحته، ودعم زوجته، وتشجيع أصدقائه. فانقلب عالمه رأسًا على عقب ودُمِرت حياة أسرته.

في حين أن ما حدث لأيوب كان بالغًا جدًّا، من منا لم يختبر غير المتوقع بطريقة سلبية أيضًا؟ قد تكون الحياة سائرة على ما يرام وفجأةً وبدون إنذار يتغير كل شيء بالتمام، وربما لن تعود حياتنا أو حياة أسرتنا أبدًا كما كانت.

هذا ليس جديدًا. ربما لم يتوقع هابيل أن يُقتل، ولم يتوقع يوسف أن يباع عبدًا في مصر. في كلتا القصتين كانت أفراد العائلة هي الخائنة، وفي كلتا القصتين تأثرت العائلتان تأثرًا كبيرًا بما حدث للأفراد الآخرين. الكتاب المقدس مليء بالأمثلة لأناس تغيرت حياتهم وحياة عائلاتهم تغيرًا عظيمًا بما هو غير متوقع.

كيف ساعدك إيمانك في وسط التجارب التي، بدون توقع، اعترضت إيقاعات حياتك؟

التغيرات

الحقيقة هي أن البشر في الغالب هم كائنات تحكمها العادة. وفي الواقع نحن نعتاد على طرفنا، وكلما كبرنا، صُعب علينا تغيير تلك الطرق. حقًا، نحن لا نتغير بسهولة. كم من زوجة اشتكت على مدار السنوات: «حاولت تغيير زوجي، ولكن...». ومع ذلك، يعمل الله على تغييرنا، وإن لم تتغير شخصياتنا بالكامل، ولكن بالتأكيد ستتغير طباعنا. ذلك هو فحوى خطة الخلاص: يصنع الله منا أناسًا جديدةً فيه.

أي تغيير عظيم حدث لشاول الطرسوسي؟ وكيف حدث؟ أعمال الرسل ٨: ١، ٣؛ ٩: ١-٢٢؛ غلاطية ١: ١٥-١٧.

«وإذ سلم شاول نفسه وخضع بالتمام لقوة تبيكت الروح القدس رأى أخطاء حياته واعترف بمطالب شريعة الله البعيدة المدى. فذاك الذي كان فريسيًا متكبرًا واثقًا في التبرر بأعماله الصالحة انحنى وسجد الآن أمام الله باتضاع وبساطة، كطفل صغير، مقررًا بعدم استحقاقه وتوسل طالبًا أن يكون له نصيب في استحقاقات المخلص المصلوب والمقام. وقد تاق شاول لأن يدخل في شركة وتوافق كاملين مع الآب والابن، ثم قدم ابتهالات حارة... لأنه كان مشتاقًا جدًّا إلى الغفران والقبول لدى الله.»

«لم تكن صلوات ذلك الفريسي التائب باطلة. لقد غيرت النعمة الإلهية أفكاره الخفية وبواعثه، وقد صارت قواه السامية في حالة وفاق مع مقاصد الله الأزلية. لقد صار المسيح وبره أعظم وأسمى من كل العالم في نظر شاول» (روح النبوة، أعمال الرسل، صفحة ٩٠).

حتى وإن لم تكن قصص تغييرنا الخاصة بنا مثيرة على الإطلاق مثل تلك الخاصة بشاول، لابد وأن يكون لنا جميعًا قصتنا الخاصة - اختبار عن الكيفية التي عمل الرب بها في حياتنا ليُغيرنا ويجعلنا نوع الشخص الذي نعلم أننا يجب أن نكونه. نعم، قد تكون العملية طويلة، وفي بعض الأوقات يسهل علينا التساؤل عما إذا كنا سنتغير أبدًا. وفي مثل هذه الأوقات، هناك نصان كتابيان جوهريان للتأمل والمطالبة بهما لنفسك.

اقرأ فيلبي ١: ٦ ورومية ٨: ١. أي وعدان عظيمان موجودان في تلك النصوص؟ وكيف ينسجمان معًا في اختبار الشخص المسيحي؟

التفاعلات

الكتاب المقدس هو كتاب مليء بالعلاقات. خلقنا الله ليكون لنا علاقات مع الآخرين. حقًا، ليس من يعيش في عزلة تامة إلا القليلين. بادئ ذي بدء، لم يقدر أيُّ منا قط أن يأتي إلى الوجود إلا بمساعدة الآخرين. وحتى بعد الولادة، نحتاج للآخرين ليعتنوا بنا، على الأقل حتى سن معينة نقدر فيها، على وجه العموم على الأقل، أن نوجد منفصلين. وحتى لو كنا نقدر على فعل ذلك، من يريد ذلك؟ فمعظمنا يحتاج ويشتهي شركة وصحبة بشر آخرين. مع أن الحيوانات الأليفة، مثل الكلاب، يمكن أن تكون رفقاء مُفرحين، إلا أنه في النهاية تأتي أعمق التفاعلات وأكثرها معنى وتغييرًا للحياة من أناس آخرين. لا عجب إذًا من أن الأسرة والعلاقات الأسرية هي بالغة الأهمية لوجودنا.

لأن في أغلب الأحيان يتفاعل معظمنا دومًا مع الآخرين، تؤثر هذه التفاعلات في الغالب في تغيرات حياتنا وإيقاعاتها. فهي تعمل في اتجاهين: يؤثر الآخرون في حياتنا من خلال تفاعلاتهم معنا. وفي الوقت ذاته، نؤثر نحن في حياة الآخرين من خلال تفاعلاتنا معهم. وسواء كنا ندرك هذا أم لا (وفي الغالب لا ندركه)، تلك التفاعلات في أي من الاتجاهين، قد تكون سواء للخير أو للشر. كم من الضروري إذن أن نستبق الأحداث دومًا حتى يكون تأثيرنا الحتمي على الآخرين للخير دومًا، خاصة أولئك الأقرب لنا، الذين هم، عادةً، أفراد عائلتنا.

اقرأ النصوص التالية. ماذا تخبرنا أن نفعل خلال تفاعلاتنا مع الآخرين؟ رومية ١٥: ٧؛ أفسس ٤: ٢، ٣٢؛ ١ تسالونيكي ٣: ١٢؛ يعقوب ٥: ١٦.

في طرق عديدة، المبدأ بسيط. إذا تصرفنا بلطف وعطف وشفقة تجاه الآخرين، سنؤثر عليهم إيجابيًا، حتى لدرجة يمكننا فيها تغيير حياتهم بطريقة إيجابية جدًا. وكما غير يسوع حياة الناس بأسلوب إيجابي جدًا، يا له من امتياز لنا أن نفعل نظير ذلك تجاه الآخرين

أيضًا. أكرر، لا بد أن نتذكر أن تأثيرنا سيكون إما للخير أم للشر، وإن كان بطرق غير ملحوظة. ولن يكون هذا التأثير، سواء ملحوظ أم لا، أقوى وضوحًا منه في أسرنا.

انظر إلى قولي يسوع التالينين: لوقا ١١: ٣٤ ومرقس ٤: ٢٤، ٢٥. ماذا تقولان عن أهمية كيفية تفاعلنا مع الآخرين؟

لمزيد من الدرس: تخيل التغييرات التي حدثت في حياة تلاميذ المسيح إذ قضاوا زمنًا معه. كانوا غير متعلمين تقريبًا، وأناسًا بسيطين معتادين على تعاليم إيمانهم اليهودي وتقاليدته، ولكن الآن كان المعلم الجليلي يتحداهم. فاختبروا غيرَةً (متى ٢٠: ٢٠-٢٤) وخصامًا (يوحنا ٣: ٢٥)؛ وأعوزهم إيمان (مرقس ٩: ٢٨، ٢٩)، بل وهجروا يسوع (متى ٢٦: ٥٦) وخانوه (متى ٢٦: ٦٩-٧٤). ولكن في الوقت ذاته، كانوا ينمون روحياً لدرجة أن الشعب عرف أن بطرس كان مع يسوع (متى ٢٦: ٣٧)، وحتى أعضاء السنهدريم تعجبوا عندما وجدوا أن بطرس ويوحنا كانا «إِنْسَانَيْنِ عَدِيمَا الْعِلْمِ وَعَامِّيَيْنِ»، «فَعَرَفُوهُمَا أَنَّهُمَا كَانَا مَعَ يَسُوعَ» (أعمال ٤: ١٣). أيضًا فُكِّرَ في التأثير الإيجابي المدهش الذي يمكننا أن نحدثه في عائلاتنا إذا عشنا بطريقة تجعل أفراد عائلتنا الآخرين، عندما يروننا، يعرفون أننا كنا «مَعَ يَسُوعَ».

ماذا تخبرنا هذه الكلمات المأخوذة من إلن هوايت عن التأثيرات في البيت؟ «قد يكون البيت بسيطًا، ولكن يمكن أن يكون دائمًا مكانًا حيث تقال الكلمات المفرحة وتقدم الأعمال الطيبة، وحيث يكون اللطف والمحبة ضيفين دائمين»
(Ellen G. White, The Adventist Home, p. 18).

أسئلة للنقاش

١. اقرأ جامعة ٣: ١-٨. ماذا تقول هذه الأعداد؟ وكيف يمكنك أن تطبق المبدأ الموجود هناك على حياتك وتجاربك الخاصة؟
٢. تحدث في الصف عن بعض من التجارب المُغيرة للحياة التي خضت فيها، وتحدث عن الدروس التي تعلمتها، وكذلك الدروس التي كان يجب عليك تعلمها ولكنك لم تتعلمها، إن وُجِدَتْ. أيضًا تحدث عن كيف أثرت هذه التجارب المُغيرة للحياة على عائلتك؟ أيضًا، ما هي الدروس التي تعلمتها في هذه المواقف؟
٣. ما هي الطرق التي تحيا بها اليوم التي، إن لم يكن المسيح في حياتك، لكانت مختلفة تمام الاختلاف عما هي عليه الآن؟ ماذا يجب أن يخبرك ذلك عن قدرة المسيح على تغييرنا